@AnteliasDiocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد أحد بشارة العذراء

الأخت راغدة عبيد (ر.ل.م.)

(٢ صموئيل ٧ : ٨ - ١٠ + ١١ب - ١٢ + ١٣ب - ١٧)

٨ قال الرّبُّ لِناتان، فقُلِ الآنَ لِعَبْدي داوُد: هكذا يَقولُ رَبُّ القُوّات: إِنِّي أَخَذتُكَ مِنَ المَرْعى مِن وَراءِ الغَنَم، لِتَكونَ رَئيسًا على شَعْبي إِسْرائيل.

٩ كنتُ معكَ حَيثُما سِرتَ، وقَرَضتُ جَميعَ أَعدائكَ مِن أمامكَ. وسأقيمُ لَكَ اسمًا عَظيمًا كأَسْماءِ العُظَماءِ الَّذينَ في الأَرض،

١٠ وأَجعَلُ مَكانًا لِشَعْبي إِسْرائيل، وأَغرِسُه فيَستَقِرُّ في مَكانِه ولا يَضطَرِبُ مِن بَعدُ، ولا يَعودُ بَنو الإِثمِ يُذِلُّونَه كما كانَ مِن قبلُ.

١١ ب وقد أَخبَرَكَ الرَّبُّ أَنَّه سيُقيمُ لَكَ بَيتًا.

١٢ وإِذا تَمَّت أَيَّامُكَ واضطَجَعتَ مع آبائِكَ، أُقيمُ مَن يَخلُفُكَ مِن نَسلِكَ الَّذي يَخرُجُ مِن صُلبِكَ،

١٣ ب وأَنا أُثَبِّتُ عَرشَ مُلكِه لِلأَبَد.

١٤ أَنا أَكونُ لَه أَبًا وهو يَكون لِيَ ابنًا. وإِذا أَثِمَ أُؤَدِّبُه بِقَضيبِ النَّاسِ وبِضَرَباتِ بَني البَشَر.

١٥ وأَمَّا رَحمَتي فلا تُنزَعُ عنه، كما نَزَعتُها عن شاوُلَ الَّذي أَبعَدتُه مِن أمامِ وَجهِكَ.

١٦ بل يَكونُ بَيتُكَ ومُلكُكَ ثابِتَينِ لِلأبدِ أمامَ وَجهِكَ، وعَرشُكَ يَكونُ راسِخًا لِلأَبَد .

١٧ فكلَّمَ ناتانُ داودَ بِهذا الكَلامِ كُلِّه وهذه الرُّؤيا كُلِّها.

مقدّمة

فِي أَحَدِ بِشَارَةِ الـمَلَاكِ جِبْرَائِيلَ لِلعَذْرَاءِ مَرْيَمْ، بِحَبَلِهَا بِابْنِ اللّٰهِ الوَحِيدِ، صَارَتْ مَرْيَمُ بَيْتًا يَسْكُنُ فِيهِ الرَّبّ. وَإِنَّنَا نُرَتِّلُ هَذِهِ الرَّمْزِيَّةَ اليَومَ، هَاتِفِينَ: "هَلِلُويَا، أَلْيَومَ فِي النَّاصِرَهْ جِبْرِيلُ كَلَّمْ، أَلْبَتُولَ الطَّاهِرَهْ عَلَيْهَا سَلَّمْ: فِيكِ ابْنُ اللّٰهِ يَجْعَلُ سُكْنَاهْ!" (كِتَابُ القُدَّاس، نَشِيدُ الدُّخُول). إِنْطِلَاقًا مِنْ رَمْزِيَّةِ "البَيْت"، اخْتَارَتْ كَنِيسَتُنَا قِرَاءَةَ العَهْدِ القَدِيمِ مِنْ سِفْرِ صَمُوئِيلَ الثَّانِي، وَهِيَ نَصٌّ رُؤْيَوِيٌّ، يَتَمَحْوَرُ حَوْلَ رَغْبَةِ الـمَلِكِ دَاوُدَ بِبِنَاءِ بَيتٍ لِلرَّبّ. إِلَّا أَنَّ الرَّبَّ بَعَثَ النَّبِيَّ نَاتَانَ إِلَيهِ ، لِيُفْهِمَهُ أَنَّ البَيْتَ الَّذِي يُرِيدُهُ، سَيُبْنَى عَلَى يَدِ وَرِيثِ الوَعْدِ، لَا بِحَسَبِ الشَّرِيعَةِ. وَالبَيْتُ الَّذِي اخْتَارَهُ الرَّبُّ سَيَدُومُ لِلأَبَدِ، وَهُوَ لَيسَ مِنْ حِجَارَةٍ وَطِينٍ، بَلْ هُوَ شَعْبٌ مُؤْمِنٌ بِنَسْلِ الوَعْدِ أَيْ "الـمَسِيح" (غل ٣ / ١٥ - ٢٢).

تفسير الآيات

٨ قال الرّبُّ لِناتان، فقُلِ الآنَ لِعَبْدي داوُد: هكذا يَقولُ رَبُّ القُوّات: إِنَّي أَخَذتُكَ مِنَ المَرْعى مِن وَراءِ الغَنَم، لِتَكونَ رَئيسًا على شَعْبي إِسْرائيل.

٩ كنتُ معكَ حَيثُما سِرتَ، وقَرَضتُ جَميعَ أَعدائكَ مِن أمامكَ، وسأقيمُ لَكَ اسمًا عَظيمًا كأَسْماءِ العُظَماءِ الَّذينَ في الأَرض.

مُنْذُ القَدِيمِ، كَلَّمَ الرَّبُّ شَعْبَهُ بِوَاسِطَةِ مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ. فَأَرْسَلَ نَبِيَّهُ نَاتَانَ لِيُعْلِنَ لِلْمَلِكِ دَاوُدَ إِرَادَتَهُ. وَهَا هُوَ اليَومَ، يَبْعَثُ مَلَاكَهُ جِبْرَائِيلَ، لِيُبَشِّرَ مَرْيَمَ ابْنَةَ النَّاصِرَةِ البَتُولِ، بِحُلُولِ ابْنِهِ الوَحِيدِ فِي أَحْشَائِهَا. فَتَهْتِفُ البَتُولُ: "هَا أَنا أَمَةُ الرَبّ، فَلْيَكُنْ لِي بِحَسَبِ قَوْلِكَ!" (لو ١ / ٣٨).

مُنْذُ حَدَاثَتِهِ، عَرَفَ دَاوُدُ الرَّبَّ كَـ"رَبِّ القُوَّاتِ"، أَيْ كَقَائِدِ الحُرُوبِ. لِهَذَا، يَأْتِي الرَّبُّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الخَاصَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دَاوُدَ لِيُوقِظَ فِي ذَاكِرَتِهِ رِسَالَتَهُ الأُولَى أَيْ "رِعَايَةَ الشَّعْبِ بِاسْمِ رَبِّ القُوَّاتِ"، وَلِيَرُدَّهُ عَنْ الطَّرِيقِ الخَطَأ الَّذِي كَانَ يَهِمُّ بِسُلُوكِهِ "بِنَاءُ بَيتٍ للّه". يَبْعَثُ الرَّبُّ بِالنَّبِيِّ نَاتَانَ إِلَى دَاوُدَ، لِيُذَكِّرَهُ بِدَعْوَتِهِ الأُولَى، إِذْ اخْتَارَهُ رَاعِيَ غَنَمٍ لِيَجْعَلَ مِنْهُ رَاعِيًا لِشَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ المُخْتَارِ. وَيُعِيدُ الرَّبُّ إِلَى ذَاكِرَةِ دَاوُدَ، بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ، المَرَاحِلَ الَّتِي سَلَكَهَا بِعِنَايَةٍ إِلَهِيَّةٍ كَرَاعٍ لِإِسْرَائِيلَ:

- "كُنْتُ مَعَكَ حَيثُمَا سِرْتَ": حُضُورُ الرَّبِّ وَقُرْبُهُ. اخْتَبَرَهُ دَاوُدُ مُنْذُ صِغَرِهِ، إِذْ حَفِظَهُ اللّهُ مِنَ الحَيَوَانَاتِ المُفْتَرِسَةِ، خِلَالَ رِعَايَتِهِ لِقُطْعَانِ أَبِيهِ فِي وَسَطِ البَرَارِي (رَاجِع ١صم ١٧ / ٣٤ - ٣٦). ثُمَّ خِلَالَ مُبَارَزَتِهِ لِجُلْيَاتَ الفِلِسْطِينِيِّ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهِ وَخَلَّصَ الإِسْرَائِيلِيِّينَ مِنَ الفِلِسْطِينِيِّينَ، حِينَهَا قَالَ دَاوُدُ لِلْفِلِسْطِينِيِّ: "أَنْتَ تَأْتِينِي بِالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ وَالمِزْرَاقِ، وَأَنَا آتِيكَ بِاسْمِ رَبِّ القُوَّاتِ، إِلَهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ" (١صم ١٧ / ٤٥).

- "وقَرَضتُ جَميعَ أَعْدائكَ مِن أَمامِكَ": بِالإِضَافَةِ إِلَى حُرُوبِهِ الَّتِي اخْتَبَرَ خِلَالَهَا قُدْرَةَ الرَّبِّ الَّذِي قَرَضَ أَعْدَاءَهُ مِنْ وَجْهِهِ: الفِلِسْطِينِيِّينَ وَالمُؤَابِيِّينَ، مَلِكَ صُوبَةَ وَالأَرَامِيِّينَ وَغَيْرَهُم (راجع ٢صم ٨ / ١ - ١٥).

ثُمَّ يَكْشِفُ الرَّبُّ لِدَاوُدَ الأُمُورَ المُسْتَقْبَلِيَّةَ وَوُعُودَهُ لَهُ كَرَاعٍ لِإِسْرَائِيلَ، لِيُثَبِّتَهُ فِي مَهَمَّتِهِ وَيُبْعِدَ عَنْ نَفْسِهِ ضَلَالَ الأَفْكَارِ خَاصَّةً الكِبْرِيَاء (آ ٩ب - ١٠). فَالاِسْمُ العَظِيمُ الَّذِي سَيَحْظَى بِهِ دَاوُدُ، هُوَ كَوْنَهُ "أَعْظَمَ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ". فَالرَّبُّ قَدِ اخْتَارَهُ رَجُلاً عَلَى حَسَبِ قَلْبِهِ (راجع ١صم ١٣ / ١٤). كَمَا سَيَدُومُ ذِكْرُهُ "كَأَعْظَمِ مُلُوكِ الأَرْضِ"، لِأَنَّهُ رَمْزٌ لِلْمَسِيحِ الآتِي، إِذْ المَسِيحُ سَيَأْتِي مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، لا مِنْ غَيْرِه (مز ٨٩ / ٢٠ - ٣٧). فَيَقُولُ لُوقا فِي نَصِّ بِشَارَةِ مَرْيَمَ، حَوْلَ هَذَا المَوضُوع: "أُرْسِلَ المَلاكُ جِبْرَائِيلُ مِنْ عِنْدِ اللّهِ إِلَى مَدِينَةٍ فِي الجَلِيلِ اسْمُهَا النَاصِرَة، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُف" (لو ١ / ٢٦ - ٢٧).

١٠ وأَجعَلُ مَكانًا لِشَعْبي إِسْرائيل، وأَغرِسُه فيَستَقِرُّ في مَكانِه ولا يَضطَرِبُ مِن بَعدُ، ولا يَعودُ بَنو الإِثمِ يُذِلُّونَه كما كانَ مِن قبلُ.
بَعْدَ أَنْ ذَكَّرَ الرَّبُّ الـمَلِكَ دَاوُدَ بِدَعْوَتِهِ الأُولَى، وَبِالوُعُودِ كَثَمَرَةِ الأَمَانَةِ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ، يُخْبِرُهُ بِالإِنْعَامَاتِ لِشَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ بِسَبَبِ طَاعَتِهِ لِصَوْتِ اللهِ:
- "مَكَانًا لِإِسْرَائِيلَ" هَذَا الـمَكَانُ هُوَ أَرْضُ كَنعَانَ، أَيْ الأَرْضُ الَّتِي يَسْكُنُ فِيهَا الشَّعْبُ وَدَاوُدُ مَلِكًا عَلَيهَا (يهوذا وأُورَشَلِيمَ). وَبِعَهْدِهِ هُوَ، يَسْتَقِرُّ الشَّعْبُ وَيُغْرَسُ فِي أَرْضِهِ بِسَلامٍ، بَعِيدًا عَنْ الِاضطِّرَابِ وَالأَعْدَاءِ (راجع ١صم ٣٠ - ٣١).
- "بَعِيدًا عَنْ بَنِي الإِثْمِ وَالِاذْلَالِ" لِأَنَّ عَهْدَ مُلْكِ دَاوُدَ يَكُونُ مُمَيَّزًا، إِذْ يَنْتَصِرُ فِي حُرُوبِهِ الَّتِي يَقُودُهَا رَبُّ القُوَّاتِ عَلَى جَمِيعِ الشُّعُوبِ الغَرِيبَةِ. وَيَسْكُنُ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ عَلَى مَسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ مُحَصَّنَةً مِنَ الأَعْدَاءِ.

١١ب وقد أَخبَرَكَ الرَّبُّ أَنَّه سيُقيمُ لَكَ بَيتًا.
١٢وإذا تَمَّت أَيَّامُكَ وٱضطَجَعتَ مع آبائِكَ، أُقيمُ مَن يَخلُفُكَ مِن نَسلِكَ الَّذي يَخرُجُ مِن صُلبِكَ،
١٣ب وأَنا أُثبِّتُ عَرشَ مُلكِه لِلأَبَد.
١٤أَنا أَكونُ لَه أَبًا وهو يَكون لِيَ ٱبنًا. وإِذا أَثِمَ أُؤَدِّبُه بِقَضيبِ النَّاسِ وبِضَرَباتِ بَني البَشَر.
كَانَ دَاوُدُ يُفَكِّرُ بِبِنَاءِ بَيْتٍ لِلرَّبِّ، بَيْدَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الَّذِي سَيُقِيمُ لَهُ بَيتًا، مِنْ صُلْبِهِ أَيْ سُلَيْمَانَ. إِنَّ عِبَارَةَ "البَيْت" الَّتِي يَقْصِدُهَا الرَّبّ، لَيْسَت بِنَاءً مِنْ حَجَرٍ، بَلْ نَسْلاً، أَيْ شَعْبًا عَظِيمًا رَكِيزَتُهُ الإِيمَانُ بِالرَّبِّ وَالعَيْشُ بِحَسَبِ وَصَايَاهُ. فَسُلَيْمَانُ، حَظِيَ بِـمَحَبَّةِ الرَّبِّ بِطَرِيقَةٍ مُمَيَّزَةٍ، كَـمَحَبَّةِ أَبٍ لِابْنِهِ. فَقَدْ قَالَ الرَّبُّ فِيهِ: "وَأَحَبَّهُ الرَّبُّ. فَأَرْسَلَ عَلَى لِسَانِ نَاتَانَ النَّبِيِّ وَسَمَّاهُ يَدِيدِيَا (حَبِيبًا) لِأَجْلِ الرَّبّ" (٢صم ١٢ / ٢٤ - ٢٥). نَجِدُ فِي هَذِهِ الآيَاتِ صَدًى لِكَلِمَاتِ الآبِ عَنِ ابْنِهِ يَسُوعَ: "أَنْتَ هُوَ ابْنِي الحَبِيبُ، بِكَ رَضِيت!" (متى ٣ / ١٧؛ مر ١ / ١١؛ لو ٣ / ٢٢).
وَقَدْ اسْتَلَمَ سُلَيمَانُ الحُكْمَ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ (١مل ١ / ٢٨ - ٤٠). وَأَثْبَتَ الرَّبُّ عَرْشَهُ قَائِلاً: "لَا يَكُونُ رَجُلٌ مِثْلُكَ فِي الـمُلُوكِ كُلَّ أَيَّامِكَ" (١مل ٣ / ١٣). بَيْدَ أَنَّهُ مَا لَبِثَ أَنْ أَخْطَأَ إِلَى الرَّبِّ، بِاتِّبَاعِهِ آلِهَةَ زَوْجَاتِهِ "وَصَنَعَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتَّبِعِ الرَّبَّ اتِّبَاعًا تَامًّا مِثْلَ دَاوُدَ أَبِيهِ" (١مل ١١ / ٦). لِهَذَا، أَقَامَ الرَّبُّ خُصُومًا ضِدَّهُ لِيُؤَدِّبَهُ بِضَرَبَاتِهِمِ القَاسِيَة، كَهَدَدَ الأَدُومِيِّ وَرَزُونَ بْنُ أَلْيَادَاعُ (رَاجِع ١ مل ١١ / ١٤ - ٢٥).

١٥ وأَمَّا رَحمَتي فلا تُنزَعُ عنه، كما نَزَعتُها عن شاوُلَ الَّذي أَبعَدتُه مِن أمام وَجهِكَ.
١٦بل يَكونُ بَيتُكَ ومُلكُكَ ثابِتَينِ لِلأبدِ أمام وَجهِكَ، وعَرشُكَ يَكونُ راسِخًا لِلأَبَد .
١٧ فكلَّمَ ناتانُ داوُدَ بِهذا الكَلامِ كُلِّه وهذه الرُّؤيا كُلِّها.

رَغْمَ اسْتِسْلَامِ سُلَيْمَانَ لِعَمَلِ الشَّرِّ، لَمْ يَنْزِعِ عَنْهُ الرَّبُّ رَحْمَتَهُ، لِأَنَّهُ إِلَهٌ رَحِيمٌ وَأَمِينٌ لِوُعُودِهِ، بَلْ أَنْذَرَهُ قَائِلاً: "سَأَنْتَزِعُ الْمُلْكَ عَنْكَ وَأُسَلِّمُهُ إِلَى عَبْدِكَ. إِلاَّ أَنِّي لا أَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِكَ نَظَرًا لِدَاوُدَ أَبِيكَ" (١مل ١١ / ١١ - ١٢). مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ، وَلأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّهُ، لَنْ يَنْحَلَّ مُلْكُهُ كَمَا حَصَلَ لِمُلْكِ شَاوُلَ الَّذي نَبَذَهُ الرَّبُّ (رَاجِع ١صم ١٥ / ١٠ - ٢٣). وَلأَجْلِ وَعْدِ الرَّبِّ لِدَاوُدَ بِثَبَاتِ عَرْشِهِ لِلأَبَدِ، سَيُبْقِي لَهُ سِرَاجًا كُلَّ الأَيَّامِ أَمَامَهُ فِي أُورَشَلِيمَ (رَاجِع ١مل ١١ / ٣٦). نُلَاحِظُ كَيْفَ أَنَّ هَذِهِ الآيَات تَتَحَقَّقُ بِكَلِمَاتِ الْمَلَاكِ جِبْرَائِيلَ لِلعَذْرَاءِ مَرْيَمَ: "وهَا أَنْتِ تَحْمِلِينَ، وتَلِدِينَ ابْنًا، وتُسَمِّينَهُ يَسُوع. وهُوَ يَكُونُ عَظِيمًا، وابْنَ العَلِيِّ يُدْعَى، ويُعْطِيهِ الرَبُّ الإِلهُ عَرْشَ دَاوُدَ أَبِيه، فَيَمْلِكُ عَلى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلى الأَبَد، ولا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ!" (لو ١ / ٣١ - ٣٣).

خلاصة روحيّة

تُعَلِّمُنَا قِرَاءَاتُ هَذَا الأَحَدِ الْمُبَارَكِ، هَذِهِ الحِكْمَةِ: إِنَّ الاسْتِسْلَامَ لِإِرَادَةِ الرَّبِّ، لَهِيَ طَرِيقُ القَدَاسَةِ وَالاتِّحَادِ بِهِ، وَلَهِيَ رَغْبَةُ الإِنْسَانِ العَمِيقَةِ الَّتِي تَئِنُّ فِيهِ حَتَّى حُلُولِ سَاعَةِ تَحْقِيقِهَا. وَضَعَتْ لِيتُورْجِيَّتُنَا الْمَارُونِيَّةُ أَمَامَنَا نَصًّا رُؤْيَوِيًّا مِنَ العَهْدِ القَدِيمِ، لِتُظْهِرَ لَنَا كَيْفَ أَنَّ الرَّبَّ يَعْتَنِي بِتَحْقِيقِ مَشْرُوعِ خَلَاصِهِ لِشَعْبِهِ بِوَاسِطَةِ عَبْدِهِ الْمَلِكِ دَاوُدَ. فَحِينَ هَمَّ هَذَا الأَخِيرُ بِالابْتِعَادِ عَنْ مَشِيئَةِ الرَّبِّ، بَعَثَ الرَّبُّ إِلَيهِ نَبِيَّهُ نَاتَانَ لِيُعِيدَهُ عَنْ ضَلَالِهِ. أَمَّا الرِّسَالَةُ إِلَى أَهْلِ غَلاطِيَةَ، فَتُذَكِّرُنَا بِأَنَّ الرَّبَّ أَمِينٌ لِوُعُودِهِ. أَمَّا الشَّرِيعَةُ لَمْ تَحْمِلَ إِلَى الشَّعْبِ سِوَى الخَطِيئَةَ وَقَسَاوَةَ القَلْبِ. فَالخَلَاصُ هُوَ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ المَسِيحِ الَّذي بِهِ نَحْظَى بِوَعْدِ الرَّبِّ الخَلَاصِيِّ. وَفِي نَصِّ الإِنْجِيلِ نَجِدُ مَثَلَ بِنْتِ النَّاصِرَةِ الحَكِيمَةِ البَتُولِ مَرْيَمَ، مِثَالًا نَحْتَذِي بِطَاعَتِهَا لِإِرَادَةِ الرَّبِّ، بِثِقَةٍ وَبِإِيمَانٍ مُسْتَقِيمٍ: "هَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ، فَلْيَكُنْ لِي بِحَسَبِ قَوْلِكَ!". فَتَحَقَّقَت بِنَعَمِ مَرْيَمَ النُّبُوَّاتُ وَمَشْرُوعُ اللّٰهِ الخَلَاصِيِّ، كَمَا رَتَّلْنَا:

أَلرُّوحُ القُدْسُ يَا مَرْيَمْ ... يَأْتِي يَسْكُنُ فِيكِ
قُدْرَةُ القُدُّوسِ الأَعْظَمْ ... تَحْمِيكِ وَتُغْنِيكِ
فَابْنُكِ الطِّفْلُ المَولُودْ ... وَارِثٌ عَرْشَ دَاوُدْ
مَالِكٌ عَلَى يَعْقُوبْ ... مُلْكًا حَدُّهُ الخُلُودْ
تَشْدُوهُ كُلُّ الشُّعُوبْ!

هَلَا عَرَفْنَا نَحْنُ أَيضًا، كَمَرْيَمَ، مَشِيئَةَ الرَّبِّ فِي حَيَاتِنَا وَقَدَّمْنَا ذَوَاتَنَا لِخِدْمَتِهِ؟